

اللغة والإيماءات الجسدية في الفكر الميرلوبونتي  
أ.هرموش أعمر طالب جامعة صفاقس -تونس

الملخص

تعددت الدراسات اللغوية في القرن العشرين و نشأت المدارس اللغوية المختلفة إذ نشأت فلسفات اللغة درست المكتوب و المقروء في سياقاتها المختلفة و المتنوعة و الاختلاف في اللغة أمر أساسي بل جوهري .ذلك أن هي نسيج من الإشارات ذات الدلالة المتميزة و المتشابكة في الوقت ذاته و لا شي ألا بالاختلاف .فتعرف كل إشارة من خلال اختلافها عن غيرها من الإشارات خاصة منها الممارسات الجسدية التي غدت تكتسح مختلف المجالات وهذا ما يدعو إلي التساؤل عن المنزلة التي يحتلها الجسد بحيث أصبح المحور الضروري و الذي لا مندوح عنه في الثقافة الغربية المعاصرة و هذا ما استدعي طرح السؤال حول طبيعة اللغة في العمليات التعبيرية و الجسدية ؟ و كيف يكون الجسد وسيلة للتعبير و اداء للمعني ؟

الكلمات المفتاحية : اللغة . الإيماءات الجسدية . الجسد

Résumé

dans le 20 siècle plusieurs études linguistiques sont apparues ainsi la création de différentes école linguistiques avec la philosophie des langues qui a étudié les différentes structures de l'orale et l'écrit. dans l'étude des langues la divergence est fondamental puisque chaque signe a son propre sens dans la langue et pour cela la langue contient un registre de mot exprimé par les gestes physique de l'être humain, chose qui pose la problématique de la place du corps dans notre vie et qui est trop valorisé dans la culture occidentale contemporaine, et c'est ce qui a été convoqué mis La question Pour la nature du langage dans les processus d'expression et physiques? Et comment le corps est-il un moyen d'expression et d'exécution du sens?

مقدمة

لعل من أبرز سمات الفلسفة المعاصرة أنها ابتعدت عن الأفكار و الأنساق الفلسفية المغلقة فأرادت أن تبحث فيما هو عيني و ملموس دون الغوص في متاهات ميتافيزيقية لا طائل منها فكان الاتجاه إلي الواقع غايتها. و من أبرز التيارات الفلسفية المعاصرة التي اتخذت علي عاتقها كل الاهتمامات نجد الفينومينولوجيا التي أرادت أن تتجاوز الفكر الكلاسيكي بين المثالية و المادية و من ثم وضع أسس سليمة لفلسفة علمية إرتبطت بالواقع المعيش و تمحورت دراستها حول الوجود الإنساني و اهتمت بكل جوانبه .

و علي هذا الأساس فإن لغة الإنسان اعتبرت من أهم المواضيع البحثية بالرغم من الدراسات القديمة خاصة السوسورية منها و ما بعد السوسورية و من ناحية القيمة العلمية للبحث في اللسان البشري و تزايد الوعي بأهمية اللغة و ازداد اليقين بأن للفلسفة مشروعية للبحث في أعماق اللغة و تشعب انعطافاتها. و هنا نجد الفيلسوف الفرنسي المعاصر موريس ميرلوبونتي حاول حرق السؤال الفلسفي دون الاستسلام إلى الدوغمائية العلمية التي لا تعتبر إلا تصفية للتراث الفلسفي و أن مقارنته في دراسة اللغة تستمد خصوبتها من داخل الأقوال و تغايرها في الآن نفسه ، لذا أردت استجلاء خصائص اللغة المعاصرة فكيف يكون الجسم وسيلة للتعبير و أداء المعني ؟ و ما طبيعة اللغة في العمليات التعبيرية الجسدية ؟ و ما المقصود بالإيماءات الجسدية ؟

### الجسد اللغوي

لقد أثارت مشكلة اللغة اهتمام الإنسان منذ زمن بعيد و خاصة منذ أن بدا الإنسان بالكتابة إذ لم يكتف بلغة تقليدية لا شعورية فمال إلي التفكير في لغته. فأعتبرت المبحث الأساسي و العنصر الجوهرية الذي يفهم حقيقة نواتنا و علاقتنا بالأخر . اللغة وحدها هي التي تؤسس تشكل الإنسان من حيث هو ذات و كذلك هو الأمر بالنسبة إلى ميرلوبونتي فهي تشكل حقيقة الأنا الذي يعكس كل وجود.

فمنطق دراسة اللغة يعتمد علي أسس أبستمولوجية خالصة دون اللجوء إلى فروض أنطولوجية ، إذ ليس لها وجود منفصل على الوجود الجسمي فهمي مَتَمَوِّضَة في الجسد الذي هو جهاز معرفي يدرك من خلاله العالم " عالم من نفس نسيج البدن " <sup>1</sup> . وهنا يري ميرلوبونتي أن من بين الحلول الناجعة لفك لغز الجسد يكمن في حسن تعاملنا به و فهمه على أساس انه تَكُون مستمر، فبواسطة كل هذا سوف نحرره من كل غموض محتمل ناجم عن التحديد المسبق في الوقت الذي تحتم لنا طبيعته أن نعرفه على انه انفتاح على الخارج أي في " عالمه المعيش " نظرًا لكونه ليس في ذاته فهذا ما سيجعله في حاجة ماسة للغة لكونه اجتماعي بطبعه، حيث انه بهذه الأخيرة سيتم له التعبير من حيث استخدامها كوسيلة للإدلال عن جوهرتيه . كما اتصف بأنه حيوان ناطق و من أهداف اللغة إذ ستمكّنه من أن يُترجم حواسه و عواطفه ليعبر عنها في طابعه اللغوي الذي من شأنه أن يقوي علاقاته و روابطه الاجتماعية. و في هذا يقول عن الجسد " أن الكائن هو انفتاح دائم و انتقال من الحس الإدراكي إلي الحس اللغوي، لهذا نجد أن الحس الإدراكي لا يمكن أن يكون في أي حال من الأحوال صامت . و لا يكون بالمعني الأول للحس فهو التعبير عن الانعكاس الذي يكونه العقل في شاكلة صوت منخفض لكن انخفاض الصوت لا يجب أن يُفهم في الأخير على انه صمت . لان العمليات الإدراكية سواء كانت بصوت منخفض أو ذات إفصاح علني ففي كلتا الحالتين فهي تعبير يُوحى عن حالات الأشياء " <sup>2</sup> و هذا ما يجعل اللغة تعبر عن كونها خاصية من خصائص الجسد الذي يشكل معها وحدة غير قابلة للانفصال و ربما ذلك ما يؤكده المنهج الإدراكي لميرلوبونتي حيث يقول في مثاله أن الطفل في أول مراحل تعلمه يجعل اللغة كتحديد للأشياء و في تلك الحالة نجده يُعرف نفسه كعضو في مَتَّحِد لَعْوِي قبل أن يعرف نفسه كفكر لان كل

<sup>1</sup> M Merlou ponty . la phénoménologie de la perception .Gallimard. paris .p 163

<sup>2</sup> Vincent peillon . tradition de l'esprit . itinéraire de maurice merleau ponty ( edition grasset et fasquelle . paris.1994 ) .p266 .

البناءات الفيزيولوجية تُطبع بطابع وجودي له دلالة تواصلية تُحدد بفضل اللغة و الإشارة و العبارة .

إن ارتباط اللغة الوثيق بالجسد كوسيلة تعبيرية يتطلب منا إلقاء الضوء على مصطلح جوهري يتمثل في الإيماءة اللغوية وما تتطوَّيه من معاني. فالإيماءة بشكل عام تُفهم من خلال الموقف الكلي لان معني كل موضوع محسوس يدرس بصورة كلية، و هنا نشير إلي المدرسة الجشطالتية و مفهوم جديد يتجاوز المواقف الثنائية للغة بين الاصطلاحين و البنيويين و التجريبيين و العقلانيين و الواقعيين و المثاليين. في حين أن ميرلوبونتي استند إلي الطريقة الفينومينولوجية من خلال موقف حي معيش يلتحم الفكر باللغة والمعني بالكلمة والإيماءة بالدلالة فمهمّة ميرلوبونتي هي اكتشاف الجسد الفعّال و القدرة الرمزية التي هي أساس اللغة و بتعبيره " اللغة جهاز أسطوري يسمح بالتعبير على عدد لا نهائي من الأفكار و الأشياء بواسطة عدد منتهي من الرموز " <sup>3</sup>.

### الإيماءات الجسدية

كما أن حقيقة التّجلي الإنساني يجسدها الجسد بجميع أعضائه و الجهاز اللغوي يجسد حالة الميلاد و الحياة إذ يحوي حركة إعادة و بناء و به نكشف " أنا أتكلم " و هذه الأخيرة القائمة على العالم المعيش على ضوء خبرة الجسد. و هنا اختلف مع الفيلسوف الوجودي جون بول سارتر الذي لم يفصل بين الماهيات و الوقائع، فالماهيات كائنة في العالم المحسوس و هذه نقطة انطلاقه من عالم الخبرة الحية السابقة عن التأمل الانعكاسي و في هذا العالم يكشف الوعي الإدراكي للماهيات و لا يخلّقها و لا يؤسسها يوضعها و يخرّجها عن طريق اللغة التي هي خبرة حسية متأصلة في البدن بوصفه تعبيراً و لغة . و كل تعبيرات الجسد هي تعبيرات ايماءية شبيهة تماما بالتعبيرات اللغوية، كما أن البدن و من خلال علاقاته الدينامية يكوّن المعني و يدركها عندما يحاول أن يجسد الخبرة في الرموز

<sup>3</sup> M Merlou ponty . la prose du monde . établi par Claude leford. Gallimarad .1969.p8

و الإشارات و الإيماءات في هذا الإطار يوضح ميرلوبونتي " لا تتفصل إشارة عن المشار إليه و لا تتفصل الإيماءة عن دلالتها أو معناها و بعبارة أدق التعبير هو المعبر عنه " <sup>4</sup> فالتعبير اللغوي كائن في الكلمات المنطوقة بوصفها فعلا من أفعال البدن يحوي دلالة باطنية فهي تعبيرات بدنية مخصبة بالمعاني لا تفهم إلا بوجه عام من خلال موقف كلي. فالإيماءة اللغوية لها نفس الخاصية المميزة لإيماءات البدن فمثلا حركة الاستدعاء بواسطة الإصبع تحوي دلالة محتواة في الإيماءة التي تظهر للملاحظ داخل موقف كلي و المرء يفهم هذه الإيماءة من خلال استجابة معيشة داخل هذا الموقف <sup>5</sup> .

لقد اهتم ميرلوبونتي بمشكلة اللغة بوصفها مشكلة فلسفية في اتصال الوعي بعالمه، خاصة تجاوز المفهوم التقليدي للغة الذي يفصل بينها و بين الوعي فيجعل الوجود منعزلاً وحيداً و في هذه الحالة لا يصبح الوعي و عي بشيء ما و إنما الوعي بذاته و بالتالي تكون الذوات منعزلة لا اتصال بينها و بين غيرها فتكون الكلمات مجرد وسيلة مناسبة لفكر مشتق يستحوذ عليه الوعي و لا يكون لها دور فعال في عملية الاتصال و هذا ما رفضه ميرلوبونتي. فاللغة مَعْطِي شخصي من خلال مظاهر و وقتية زمنية " <sup>6</sup> و هذا ما يدل على أن كل كلمة تتخارج تنطوي على فكرة معاشة في زمنها و وقتها نحو دلالتها في باطنها ، فليست رمزاً يشير إلى حضور خارجي فقط لان الكلام جزء من المعني مثل الجسد المرئي الذي يتبين في البنية الفيزيولوجية فكل أفكاره تتمركز على توضيح التلاحم و التطابق بين الفكر و الكلام ..... كل إنسان يتكلم للإجمال بأفكاره و كذا وسأوسه و تاريخه السري يضعه في العراء و يشكله كفكر " <sup>7</sup> .

فما يمكن إيجازه في الإيماءة اللغوية أنها تحوي دلالتها في ذاتها تحاول بفضل الرموز المتوفرة تجسيدها كحركة فيسيولوجية ظاهرة إلى العيان " فعندما أتكلم

<sup>4</sup> M. Merlou ponty . la phénoménologie de perception .op cit.p 167

<sup>5</sup> .M. Merlou ponty . la phénoménologie de perception.op cit. p198

<sup>6</sup> M. Merlou ponty . la structure du comportement..Gallimard .paris . 1960.p 224 .

<sup>7</sup> M Merlou ponty . le visible et l'invisible. Gallimard. Paris 1664. p 99

أنا لا استعرض حركات فكل جهاززي الجسمي يجتمع و يتلاءم من اجل قول الكلمة، مثلما يدي تتحرك بذاتها لتحمل ما يسقط " <sup>8</sup> لان الحركة الجسدية هي محور اندماج الإنسان مع العالم و تشكّل الفكر كوعي يتواصل مع الآخرين . فالكلام لا يعني ارتباط بالأخر ارتباطا مطلقا و إنما كمشارك يتواصل مع الأخر و هذا يفترض لغة تسمى ما هو مرئي له و لي. أي تربط الأشخاص فيما بينهم، فاللغة بتعبيراتها الايمائية تجسد طريقة منهجية تميز الإشارات واحدة على الأخرى فهي موضوعة تلبور البنية الرمزية و تجعلها تولد من جديد في الأخر فهي تعطينا الوجود في العالم .

إن الدلالة التعبيرية التي تجسدها الكلمة تحمل في طياتها معناها و قصدها. ففكر ميرلوبونتي يطابق بين الفكرة و صياغتها الرمزية فإذا كانت الكلمة ليس لها معني بمنظور النظرية التجريبية و غلاف فارغ بمنظور النظرية العقلية فإنها عند ميرلوبونتي تجسد الفكر كما يجسد الجسد السلوك <sup>9</sup> فاللغة قصدية تظهر من خلال الإيماءة، و التعبير الإيمائي يتم من خلال المرئيات الحسية التي توجد فيها. لذلك فالخبرة الجسدية في نظره أكثر من تجمع للأجزاء أو تصوير ترنسندنتالي " فكل حركة أو سلوك يفرضان قيمة تعبيرية تحوي قيمة رمزية لذلك يجيب التميز بين السلوك الذي يحاول توصيل معني على الذي يحويه في ذاته " <sup>10</sup>، و هنا يرفض ميرلوبونتي الأحكام السيكلوجية التي تقرّ بالحقائق الداخلية لا تعرف إلا بالدلائل و المشاعر ليست أحداث نفسية خفية و بعيدة عن وعي الأخر. إنها أنواع من السلوك أو أسلوب لسلوك مرئي يظهر على الوجه أو في الحركات الجسدية، و الجسد هو الذي يؤسس التخارج الداخلي للذات. فهو أصل كل تعبير إذ هو الحركة و العبارة أو بالأحرى قوة تعبيرية طبيعية حيث هناك علاقة معني بين الإيماءة بشكل عام إذ تتجسد في العلاقة التعبيرية المتبادلة و تُظهر أن الجسد

<sup>8</sup> M Merlou ponty . la pros du monde . Gallimard. Paris .1969 .op.cit. p 28

<sup>9</sup> M Merlou Ponty . Signe . Gallimard.. paris.1960 . p 25

<sup>10</sup> Martinet et Merlou Ponty . du langage par Gystain gharron .Ottawa .Canada .1972 . p

الإنساني وحدة رمزية. فنحن في العالم و العالم يتّوضع في دائرة التعبير و التجارب اليومية " فالجسد هو هذا العالم الغريب الذي يستعمل أعضائه الخاصة كرموز عامة للعالم نستطيع بها مخالطة العالم و فهمه و إيجاد معني له " <sup>11</sup> .

فاللغة لا تستطيع أن تتّخرج إلا بفضل الإيماءات الجسدية<sup>12</sup> حيث تكون القصدية مصدر و اتجاه كل الحركات التي تبقي مبهمة و غريبة إذا لم تتّخرج بالكلمات التعبيرية تخرّج من أنا، مثل حركات تنبثق من جسدي فالكلمة تنزع ماذا أريد أن أقول و الحركات تجسّد ما أريد أن افعل<sup>13</sup> و هذا ما يؤكده ميرلوبونتي أن أصل اللغة و ما ينبثق عنها يرجع في أصله إلى البنية الفسيولوجية التي تُكوّن الجسد " فالحركات الجسدية نحو العالم مشكّلة من نظام لعلاقات تتشابه فيها الفسيولوجيا و البيولوجيا، حيث يمكننا وصف السلوك اللغوي بالطريقة التالية: تقلص الحلق، انبثاق هواء الصفير بين اللسان و الأسنان و بعض الطرق التي يتم في الجسم تستثمر إلي معني متّجسد " <sup>14</sup> .

و هنا تصوّر ميرلوبونتي أن للجسم جانبين أساسيين احدهما موضوعي والأخر ذاتي فهناك الجسم الموضوعي و هو الجسم البيولوجي كموضوع للعلم في حين أن هناك جسم ذاتي خاص و هو بالضبط موضوع التأمل إذ يرتبط هذا الجانب منه بما هو معيش كشعور يوّلّد فينا كل أفعالنا و حركاتنا. لذا فإن سلوك و نشاط هذا الجسم يقوم على المعني الذي يرتبط بكل ما يعبر عنه من مواقف و إشارات و حركات إذ له قدرة على التعبير و أداء المعني . و قدحاول ميرلوبونتي في كتابه فينومينولوجيا الإدراك دراسة الجسم باعتباره تعبيراً و كلاماً حيث أكد على أن الجسم الخاص يمتلك وحدة تختلف عن وحدة الموضوع العلمي لأنه لا يملك بداخله حتى داخل وظيفته الجنسية قصدية و قدرة على أداء المعني<sup>15</sup> . و من هذا

<sup>11</sup> M Merlou Ponty . la phénoménologie de perception . op cit . p 272 .

<sup>12</sup> محمد بن سباع . فينومينولوجيا اللغة عند ميرلوبونتي . 2004 جامعة الجزائر . 65

<sup>13</sup> M Merlou Ponty . Signes . op cit . p 54 .

<sup>14</sup> M Merlou Ponty . la phénoménologie de perception. Op cit. p226 .

<sup>15</sup> M Merlou Ponty . la phénoménologie de perception . op cit. P 255

المنطلق يجعل ميرلوبونتي هدفه هو وصف ظاهرة الكلام و المعني لتجاوز ثنائية الذات و الموضوع .

إن هذه العلاقات التعبيرية التي يكوّنها الجسم هي ما تُظهره كوحدة رمزية مختلفة بما أننا موجودون في العالم و في إطار حلقة تعبيرية ، ومن خلال الخبرة التعبيرية فان الجسم هو هذا الشئ الغامض الذي يستخدم أجزاءه الخاصة كرموز عامة من خلال ما نتعامل به في العالم ومنه يمكن أن يكون الجسد فكرة مركزية في عملية الإدراك ،من خلال وظائف الرؤية و الحركة و حتى المكانية و من خلال حضوره مع الآخرين في العالم. فله القدرة على التعبير و قدرة التعبير الطبيعية لأنه يحقق المعني في الإيماءة أو الإشارة بالنسبة للآخرين ،كما أن قدرته على المعني لا تتوقف على مواضيع معينة بقدر ما تتعلق بمواضيع طبيعية و مواضيع ثقافية مثل الكلمات<sup>16</sup> فإذا رأي شاب فتاة فأعجب و أفتتن بجمالها قد يقول مثلا بصفة مباشرة يالها من فتاة رائعة أو يحاول أن يعبر لها عن شعوره من خلال حركات و إشارات معينة لان ما شعر به ذلك الشاب تجتمع في كامل أعضاء جسمه ليُعبّر عنه الجسم في النهاية . إن المعني في هذه الحالة لا هو راجع لفكر مسبق و لا هو نتاج عن كلمات بقدر ما هو الكلمة بحد ذاتها كفكرة ، أي انه مباطن فيه كما أن الإيماءة تتضمن معناها فهي المعني لتظهر لنا علاقة العلامة بالجسم و هذا ما تّين لدي الفيلسوف الفرنسي ميشال فوكو من خلال دراسته لتطور النظرية الطبيّة في الغرب حيث أنه في حالة الطب العيادي ارتبط المرض باللغة فنوع المرض هنا هو الدال و أعراضه على الجسم تمثل المدلول، أي أن الجسم لغة تعبّر عن نوع المرض و هذا ما أكده ميرلوبونتي من أن القدرة التي يمتلكها الجسم هي أداء التعبير و قد أشار إلي ذلك في " نثر العالم " حيث يري أي عندما أتلفظ بكلمة فإن أعضاء جسمي تتجمع من أجل النطق بتلك الكلمة و كأن جسمي كله ينطق بها مثلما تلتقط يدي شيئا ما<sup>17</sup> . كما

<sup>16</sup> Ibid . p 272

<sup>17</sup> M Merlou Ponty . la prose du monde . op cit . p81



أن التواصل المسبق للغة و أساليبها التعبيرية المسبقة و ما تتسم به لغة عن لغة أخرى ما هي إلا أساليب الجسم البشري التي يتخذها للانخراط في العالم لأنه لغة طبيعية باعتبار الوعي الخاص به كوسيلة للتعبير. لان اللغة هي وسيلة لتأويل الوجود انطلاقاً من الذات من خلال تعبير الجسم و أداء المعنى لمختلف وظائفه و إن كل إدراك و كل استعمال بشري للجسم إنما هو منذ البداية تعبيراً أولي<sup>18</sup> .

إن التعبير يتجسد في حركات و إيماءات أو إشارات و التواصل بالإشارات يكون بالتبادل بين قصدياتي و إشارات الآخرين و بين إشاراتي و القصديات الظاهرة في تصرفاتهم، بهذا تظهر طبيعة العلاقة بين الإيماءة و معناها ، فالمعنى متضمن في الإيماءة ذاتها و ما علينا إلا فهم المعنى لان المعنى ليس كالزبد فوق الكعك كما يري ميرلوبونتي، فالإيماءة هي نمط من الأسلوب الاتصالي بين الذوات ينكشف فيه المعنى كما يتجلي فيه سر وجود اللامرئي في المرئي، فالإشارات أو الإيماءات الجسدية هي ضرب من ضروب الذاتية المتبادلة في إطار إشكالية الآخر خصوصاً عندما يتعلق الأمر بالإدراك و اللغة . لهذا أراد ميرلوبونتي أن يعطيها طابعاً جديداً من حيث الطرح لمسألة الجسم و الآخر ليمتزج الصمت بالإشارة و الإشارة بمعناها، لان الجسم هو وسيلتنا الناجحة لمعرفة العالم بما انه يحدد إشارات و حركات ثابتة، و الإشارات لغة قائمة بحد ذاتها و لها أهمية بالنسبة لميدان اللغة و الإدراك . و إذا أردنا أن تكون هناك إشارات لغوية طبيعية يجب إيجاد حالات و عي تحتوي على تنظيمات أولية لأجسادنا لان هناك اختلاف بين الإيماءات فمثلاً بين إيماءة الغضب و الحب لا تكون هي ذاتها الإيماءات الموجودة عند الأوربي مثلاً، ذلك أن هذا الاختلاف يُعطي إختلافاً في الإحساسات ذاتها بما في ذلك الوضعية و التعامل مع الوضع<sup>19</sup> . بمعنى أن الحالة الواعية يمكن أن تعبر عن إيماءات جسدية مختلفة لذلك يعبر بعض الأشخاص أحياناً عن هذه سعادتهم إذ يكتفون بنوع من الابتسامة في حين لا يمكن لغيرهم التعبير عن هذه

<sup>18</sup> M Merlou Ponty . Signes .op cit .p 84

<sup>19</sup> M Merlou Ponty .la phénoménologie de perception . op cit . p p 219.220

السعادة إلا بأداء حركات معينة، فالوعي و الإشارة و المعني عناصر ثلاثة يقوم احدهما على الآخر ذلك أن الإشارة أو الإيماءة وان الحركة مصاحبة للأفكار و أن القصد العملي للوعي يجعلها أشارات متولدة تكمن في إظهار تلك الإشارات ذات المعني<sup>20</sup>. و هنا تكمن أهمية الإيماءات الجسدية و ذلك في الاتصال بين جسمي و جسم الآخر فهي بالنسبة لي كسؤال إذ تحاول إخباري بأشياء كثيرة عن العالم به يكتمل التواصل، و معني الإشارة الجسدية يمتزج مع بنية العالم حيث تكون حاملة المعني في هذا العالم لأنه لا يوجد إلا معها و هذا شرط التواصل بحيث تكون الإشارات و الإيماءات بين شخص و آخر مع وجود اقتراب في الثقافة<sup>21</sup> و هنا ما أشار إلي المفكر الألماني المعاصر ارنست كاسير إذ رأي أن الإشارة هي وحدة بين الداخل و الخارج و بين الروحي و الجسدي و أكد على أهميتها من الناحية اللغوية فميز بين لغات الشعوب البدائية و لغات الشعوب المعاصرة و على الرغم من وجود علامات و إيماءات و رموز لغوية إلا أن هناك أفكار و مواضيع يعبر عنها بإشارات جسدية<sup>22</sup>. و هذه الإشارات الجسدية غنية من ناحية المعني فهي بمثابة أشكال طبيعية متضمنة المعني مقابل الإشارة الاصطلاحية الاتفاقية.

كما تنتظر فينومينولوجيا ميرلوبونتي إلي الوعي على انه وعي متجسد لأننا موجودون في العالم بأجسادنا هذا ما يجعل من الجسم مصدر للسلوك خصوصا منه اللغوي سواء إشارات لغوية أو إيماءات جسدية، فالجسد مصدر الكلمات و الحركات معا، كما أن تعبيرات البدن هي تعبيرات ايمائية تشبه تماما التعبيرات اللغوية في فعل الحديث بوصفه فعلا من أفعال الجسد إذ يقر أن التعبير هو الجسم و أن العالم موضوع من نفس نسيج الجسم<sup>23</sup>.

<sup>20</sup> M Merlou Ponty. la structure de comportement. Op cit . p 176

<sup>21</sup> Bruno Huisman . les philosophes et le langage .paris. Caint –germain.1986. p 318

<sup>22</sup> Ernst Cassirer . la philosophie des phormes symboliques. 1 langage. Tard .par olehansen-lave et jean lacoste .p p 129.130

<sup>23</sup> موريس ميرلوبونتي . العين و العقل .تقديم و ترجمة حبيب الشاروني. منشأة المعارف بالاسكندرية. مصر 1989. ص 32.

يذهب ميرلوبونتي إلى أن الجسم يكشف عن تجربة مشتركة لفعل التعبير و الكلام بحيث لا يمكن عدّه نمطا معاكسا للوعي و إنما تعبيراً لوجود الوعي بالعالم. فإذا كان الجسد في جوهره تعبيراً عن الوجود في العالم يمكن ثمة التجلي في مجال مشترك مع الآخر حين تتوافق القدرات التعبيرية لجسمي و جسم الآخر و بين إيماءاتي و المقاصد المقروءة في سلوك الآخر " بمقدوره الجسد على أبعاد حد أن ينعكس و أن يتعرف على ذاته في جسم آخر " <sup>24</sup> إذ تترجم قدرة الجسد على خبرته المعيشة و المكتسبة من خلال الوجود في العالم ، حيث تكون الإيماءات الجسدية هي أهم وسائل التعبير عن هاته الخبرة و عن المعنى الكامن فيها من خلال صلته الدينامية يؤسس المعاني التي يدركها الوعي ، و لما كان للجسد القدرة على التواصل فإنه لا يمكن حصرها فقط في تلك الإيماءات الجسدية و إنما في كل ما يمكن أن يكون واسطة بين العالم والجسد. فاللغة هي تلك الوسيلة التي تمكن الجسد التواصل مع عالمه و مع الآخرين و لا نعني بالذكر اللغة الرمزية فقط و إنما كل ما يمكن أن يوصل معنى أو دلالة فهو لغة ، فالكثير من الإيماءات و الحركات لا تذهب إلي أي مكان، لا تذهب حتى تجد في الجسد الآخر شبيهها أو نموذجها الأصلي إنها حركات الوجه و الكثير من الإشارات و خاصة الحركات الفردية للحنجرة و للفم حتى تضع الصرخة و الصوت <sup>25</sup>. إذ يؤكد " إن كونك جسماً هو كونك مرتبط بعالم معين و أن جسمنا هو من المكان و انه دائماً مرتبط بعالم معين و موجود فيه " <sup>26</sup>. و على أساس الخاصية التعبيرية للجسم من خلال الإيماءات و الإشارات في العالم الذي تكشف عنه اللغة هو العالم المعيش بما في ذلك الذوات المكتملة من التواصل و لا تتوقف فكرة التواصل هنا بالمفهوم الهيدغري عندما يكشف الإنسان وجوده من خلال اللغة. فقد اتخذت مع

<sup>24</sup> موريس ميرلوبونتي . تقرّيب الفلسفة تقديم محمد محجوب. مطبعة اوربيس. 1995. ص. 61

<sup>25</sup> موريس ميرلوبونتي. المرئي و الامرئي. ترجمة سعاد خضر و مراجعة الابن يقولا داغر ط1 دار الشؤون الثقافية العامة. 1987. ص 232

<sup>26</sup> جون ليشته. خمسون مفكراً أساسياً معاصراً . ترجمة فاتن البستاني . مركز الدراسات . الوحدة العربية . بيروت . ط1 2008. ص. 76 .

ميرلوبونتي طابعاً شمولياً يكشف وجود الآخرين خصوصاً في الأفعال و الأساليب التعبيرية كالفن و الرؤية و الحركة و الرواية و التصوير ....  
**الأساليب التعبيرية**

إن العلاقة بين اللغة و الفن ذات طبيعة مباطن فيها فميرلوبونتي أكد أن الرسامون و الكتاب " لم ينتهوا إلي ما بينهم من روابط و علاقات، فاللغة و الرسم مثلا يعيشان وسط واحد و عملية التعبير يمكن أن تؤسس فن الرسم على أساس اللغة و اللغة أساس فن الرسم و الفن هو فكرة التعبير الإبداعي و ما تظهره من جوانب اتصالية"<sup>27</sup>. و إذا كانت اللغة تقوم على الخبرة فالفن بدوره يقوم على هذه الخبرة كما يرتبط كل منهما بفكرة الجسد، فهو عملية تعبيرية لان الفنان في عمله يتجه نحو العالم الذي يريد التعبير عنه لكي يخلق صوتاً خاصاً ينطق به، وهذا الصوت هو تلك اللغة التعبيرية الإرادية التي لا يصل إليها الفنان إلا في مرحلة نضجه لان لغة الفن توصلنا إلي ما وراء الأشياء المرئية " تكمن في القدرة تحقيق التواصل بين الفنان و الجمهور"<sup>28</sup> ففعل الفنان لغة صامتة تدعوا الجمهور إلي عالم أراد الفنان أن يعبر عنه و يخاطبهم بلغة الصمت ذاتها. و هذا ما أكده ميشال لوفيفر " إن الفن يرتبط بالجسم كارتباط المرئي باللامرئي و أن كل فنان يجسد بدوره هذا التحول الكل الشامل للمعيش في التعبير"<sup>29</sup>.

إلى جانب الفن نجد نسيج محبوبك من الرؤية و لحركة " فالجسم هو تشابك من الرؤية و الحركة....و أن جسمي المتحرك ينتمي إلي العالم المرئي و يكون جزءاً منه"<sup>30</sup> فالرؤية ليست نشاطاً فسيولوجياً أو انطباعاً حسيماً لان الجسد ليس جهازاً فوتوغرافياً يسجل انطباعات أو مجرد انعكاس . فالعيون أكثر من مستقبلات للأشعة الضوئية "فانا اعتبر جسدي الذي هو وجهة نظري على العالم و كأنه أحد

<sup>27</sup> M Merlou Ponty . la prose du monde. Op cit. p p 67.68

<sup>28</sup> M Merlou Ponty .Signe.op cit.p 65

<sup>29</sup> Michael .Lefour . M Merlou Ponty. Au –dela de la phéninominologie librairie Klimcksiech.france .1976 .p363.

<sup>30</sup> موريس ميرلوبونتي . العين و العقل . مصدر سابق .ص 16

أشياء هذا العالم و الوعي الذي أملكه عن نظري...بأنه وسيلة للمعرفة اكسبه وأعامل عيناى و كأنهما أجزاء من المادة "31. فوظيفة الرؤية تدل على اندماج الجسد في العالم من خلالها نفهم الجسد الحى يدرك و يعيش في عالمه .

كما سنرى من خلال الرؤية وظيفة أخرى للجسد لا يمكن فصلها عنها فنحن خلال رؤيتنا الأشياء في العالم فإنها تظهر لنا بوجه واحد و تخفى عنا بقية الوجود، فالجسد واسطة تُوصلنا بالعالم و تقودنا إليه كأفق لتجربتنا كما ينطوي فعل الحركة على نشاطات و ما هذا الفعل إلا طريقة من طرق الجسد التي يستعملها للتواصل مع العالم و موضوعاته "فأنا أحرك الأشياء الخارجية بواسطة جسدي الذاتي التي يلتقطها في مكان معين ليقودنا إلى مكان آخر . كما يرى ميرلوبونتي أن التعبير لا يُقتصر على مجرد هذه الوظائف الجسدية في مختلف التعبيرات الشعورية والذهنية كالغضب والابتسامة واللذة و المرح وكذلك الكلام، فالكلمة تحمل معناها في باطنها كما تبطن إيماءات الجسد دلالتها في تجسيد نمط سلوكي أو شعوري معين . فالدلالة عند ميرلوبونتي تفيض بالمقابل على وسائلها و تستولي على الكلام الذي يصير موضوع علم حيث تسبق ذاتها بواسطة حركة ارتدادية لا تغيب<sup>32</sup>.

يغدوا الجسم عند ميرلوبونتي مسكن للتعبير و منبعه فمنه تنطلق كل الإيماءات و الحركات بواسطتها أرتبط بالعالم و أتعاش معه بفعل القصدية وبالفعل الواعي حيث يمكن القول " أن يكون لك جسداً هو أن يكون منظور إليك ،ليس ذلك فحسب بل أن تكون مرئياً "33.

<sup>31</sup> موريس ميرلوبونتي. ظواهرية الإدراك. ترجمة فواد شاهين معهد الانماء القومي العربي. 1990 ص 70.

<sup>32</sup> موريس ميرلوبونتي . المرئي و الامرئي. مصدر سابق. ص 244

<sup>33</sup> موريس ميرلوبونتي. المرئي و اللامرئي . مصدر سابق. ص 294

## قائمة المصادر والمراجع

- \_M Merlou ponty . la phénoménologie de la perception .Gallimard. paris .1945 .
- \_ M Merlou ponty . la prose du monde . établi par Claude le Ford. Gallimard .1969.
- \_M. Merlou ponty . la structure du comportement..Gallimard .paris . 1960
- M Merlou ponty . le visible et l'invisible. Gallimard. Paris 1664.
- Vincent peillon . tradition de l'esprit . itinéraire de Maurice merleau ponty ( édition grasset et fa quelle . paris.1994 )
- M Merlou Ponty . Signe . Gallimard.. paris.1960 .
- \_ Emile Benveniste. Problème de linguistique générale. Gallimard .paris. 1974.
- \_Michael .Lefour . M Merlou Ponty. Au -dela de la phénoménologie librairie Klimcksiech.france .1976 .
- Martinet et Merlou Ponty . du langage par Gystain gharron .Ottawa .Canada .1972 .
- Bruno Huisman . les philosophes et le langage .paris. Caint -germain.1986.
- Ernst Cassirer . la philosophie des phormes symboliques. 1 langage. Tard .par olehansen- lave et jean Lacoste .
- موريس ميرلوبونتي . العين و العقل .تقديم وترجمة حبيب الشاروني. منشأة المعارف بالإسكندرية. مصر . 1989 .
- موريس ميرلوبونتي . تقرّظ الفلسفة تقديم محمد محجوب. مطبعة اوربيس.1995.
- موريس ميرلوبونتي. المرئي و اللامرئي .ترجمة سعاد خضر و مراجعة الابن يقولا داغر ط1 دار الشؤون الثقافية العامة .1987.
- \_ جون ليشته.خمسون مفكرا أساسيا معاصرا . ترجمة فانتن البستاني. مركز الدراسات . الوحدة العربية . بيروت. ط1 2008.
- موريس ميرلوبونتي. ظواهرية الإدراك. ترجمة فؤاد شاهين معهد الإنماء القومي العربي .1990.
- محمد بن سباع .فينومينولوجيا اللغة .جامعة الجزائر . 2004 .
- جمال مفرج.كوجيتو الجسد .دراسات في فلسفة موريس ميرلوبونتي .منشورات الاختلاف .2000.

- عبد العزيز العيادي .مسألة الحرية و وظيفة المعني في فلسفة موريس ميرلوبونتي ط.1.2004
- على حبيب الفريوي . قراءة في المنهج الفيميائي ( هوسرل -ميرلوبونتي ) مجلة الفكر العربي المعاصر . مركز الانتماء القومي . بيروت